فن التراجم الأدبية
في كتاب زهر الآداب للحصْري

د محمد منصوري
جامعة باتنة

تمهيد :

يعرف كتاب " زهر الآداب " بأنه كتاب أدب بعامة، ويعرف عند المتخصصين بأنه كتاب أدب ونقد أيضا. ذلك أن القضايا النقدية في الكتاب، لم تعرض فيه بصورة واضحة ومقننة، وإنما استخلصت من مواقف المؤلف تجاه بعض الآراء النقدية الخلافية، كقضية " القدماء والمحدثين" وغيرها.

كذلك يمكن لنا أن نعيد قراءة الكتاب قراءة أخرى متأنية فاحصة، لنستطيع أن نضيف إلى صفة الكتاب تسمية جديدة، فنقول عنه بأنه كتاب أدب ونقد وتراجم، باعتبار التراجم . وإن كانت تشملها صفة الأدب . تأخذ . بشكلها المتميز . طابع الاستقلالية والانفراد بالتسمية، من حيث البناء الخارجي المتكامل، أو ملامحه على الأقل. ومن حيث الرغبة في عرض حياة فرد، أو عرض جانب منها.

ذلك ما نسعى إلى عرضه وتحليله في هذا البحث .

وسوف نتناول في البداية نبذة عن حياة المؤلف العامة ثم الخاصة :

الحركة الثقافية في المغرب العربي إبان العصر الصنهاجي

يبدو أن الجناح الشرقي من بلاد المغرب الكبير، كان له الحظ الأوفر في مجال النشاط الثقافي والأدبي في العهد الزيري الصنهاجي. فقد كان للفاطميين . بعد ظهورهم واستقرارهم وبسط سلطانهم على المغرب الأدنى والأوسط . ولخلفائهم الزيريين من بعدهم أكبر الأثر في ذلك النشاط ، حيث أسهموا في بعث الحركة

الأدبية وإنعاشها. فكثر الأدباء والشعراء، وحدث تطور عظيم في هذا المجال مما ساعد على تكوين<<شخصية إفريقية مستقلة في النقد والأدب >> [1].

وفي هذا العصر << برزت أول حصيلة نقدية شارك فيها الحصري بكتابه زهر الآداب>> [2] وتمثلت ريادة النشاط الأدبي في << أبي إسحاق الحصري القيرواني وعبد الكريم النهشلي، ثم الحسن بن رشيق، والقزاز وابن شرف >> [3] .

يقول رابح بونار عن تقدم وازدهار الأدب في عهد بني زيري بإفريقية :

<<<< تقدمت الآداب والعلوم في عهد بني زيري تقدما كبيرا، ونبغ فيها أعلام كثيرون في الشعر والنثر والدراسات العلمية والفقهية وغيرها >> [4] .

وفي عهد المعز بن باديس المشهور باستقطابه للشخصيات الأدبية << نزح الأديب الكبير ابن رشيق المسيلي ، من مسقط رأسه إلى القيروان >> [5] .

أما الجانب الغربي من بلاد المغرب، فكان الحال مختلفا تماما، حيث أن عدم الاستقرار، وقلة عدد العرب المستقرين فيها، وبعدها عن مواطن العرب الأصلية فكان ذلك كفيلا بأن يحدث بطئا في الحركة الأدبية . حيث أن هناك << غموض يساور الناحية الأدبية في هذا العصر [6] أكثر من الناحية العلمية، فإذا استطعنا أن نعد أفرادا من العلماء، ونترجم لهم، ولو على سبيل الإجمال فإننا لا نستطيع ذلك بالنسبة إلى الأدباء >> [7] .

نذكر هذا لنبرز أهمية الاستقرار السياسي في المغرب الأدنى (تونس) والأوسط (الجزائر) الذي أحدث التمايز الكبير بينها وبين الجناح الغربي(المغرب الأقصى) في المجال الأدبي والثقافي بعامة.

التعريف بالمؤلف [8]

هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري المعروف بالحُصْري القيرواني، نسبة إلى الحُصْر القريبة من مدينة القيروان.

ولد في مدينة القيروان حاضرة المغرب الأدنى في ذلك الحين وفيها تعلم، وقد << نشأ على الوراقة والنسخ لجودة خطه >> [9] وكان منزله بجوار جامع

القيروان ، حيث اتخذه بيته وخزانته . كما يقول ابن رشيق . وفيه يجتمع بالناس ، ولزمه شبان القيروان للتدريس [10] .

ويبدو أن هذا المكان المهم ساعده على الاعتكاف للتدريس والتأليف وصناعة الأشعار وبخاصة أنه كان << من أهل المعرفة والذكاء >> [11]، فكان مرجع الشبان وعشاق المعارف الأدبية ومحط أنظارهم وذاعت شهرته إلى خارج مدينة القيروان، فوصلت كتبه صقلية وغيرها من المراكز، وانهالت عليه صلات كثيرة من وجهاء عصره مكافأة له على أشعاره وكتبه الشهيرة [12]وقد كانت له الزعامة الأدبية في الفترة الواقعة قبل استقرار الأمراء الصنهاجيين في العاصمة الإفريقية [13] .

أما عن ميلاده فلم تذكر المراجع شيئا عنها. وقد رجح الدكتور : عبد العزيز قلقيلة من استنتاجات المتأخرين أنه ولد في سنة 330 هـ [14] . ورجح الدكتور/ محمد بن سعد الشويعر أن تكون ولادته في سنة 363 هـ

وتوفي . في أرجح الأقوال . في سنة 413 هـ بمدينة المنصورة القريبة من القيروان[15] وقد جاوز الأشد . كما قال ابن رشيق.

مؤلفاته :

ترك عدة مؤلفات منها :

1 . زهر الآداب .

2 . نور الطرف ونور الظرف .

3 . المصون في سر الهوى المكنون .

4 . الجواهر في الملح والنوادر .

5 . جزء مما قيل في طيبات الأغاني ومطربات القيان .

6 . تأليف عن طبقات الشعراء (بدأ فيه ثم عدل عنه) .

7 . ديوان شعر .

كتاب زهر الأداب

يعد كتاب " زهر الآداب ، وثمر الألباب " أحد كتب الحصْري العديدة، وهو أهمها وأشهرها على الإطلاق، وعد مصدرا مهما من مصادر الأدبي العربي. ولا يقل شأنه عن شأن أمهات الكتب الأدبية المشرقية والمغربية على السواء ككتاب الأغاني ، والبيان والتبيين ، والأمالي، والعقد الفريد ...

ويحدثنا الحصري عن دواعي تأليفه لهذا الكتاب فيقول :

<< وكان السبب الذي دعاني إلى تأليفه، وندبني إلى تصنيفه، ما رأيته من رغبة أبي الفضل العباس بن سليمان . أطال الله مدته ، وأدام نعمته . في الأدب ، وإنفاق عمره في الطلب، وما له في الكتب، وأن اجتهاده في ذلك حمله على أن ارتحل إلى المشرق بسببها، وأغمض في طلبها، باذلا في ذلك ماله ، مستعذبا فيه تعبه، إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره، ونصحاء دهره، طرائف طريفة، وغرائب غريبة، وسألني أن أجمع له من مختارها كتابا يكتفي به عن جملتها، وأضيف إلى ذلك من كلام المتقدمين ما قاربه وشابهه وماثله، فسارعت إلى مراده، وأعنته على اجتهاده، وألفت له هذا الكتاب، ليستغني به عن جميع كتب الآداب >> [16] .

ويبدو أن أبا الفضل هذا كان من وجهاء القيروان في عصره، ومن محبي الأدب والأدباء، فكان يقربهم وينعم عليهم من ماله، فهو يقول عنه داعيا له بإطالة عمره ودوام نعمته : << أطال الله مدته وأدام نعمته >>، وهذا دليل على أنه من أولياء نعمته .

وقد ذهب الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب، إلى أنه << أحد رؤساء الكتاب بالقيروان، وكان من كبار الأدباء >> [17] .

ومن باب التواضع، والعرفان بفضل من سبقوه من المصنفين، الذين أخذ عنهم مادة الكتاب. قال : << وليس في تأليفه من الافتخار، أكثر من حسن الاختيار، واختيار المرء قطعة من عقله، تدل على تخلفه أو فضله >> [18] .

وقبله قال ابن عبد ربه عن قيمة الاختيار : << واختيار الكلام أصعب من تأليفه، وقد قالوا : اختيار الرجل وَافدُ عَقْله >> [19] .

ويعني هذا أن فن التصنيف لا يقل شأنا عن فن التأليف ومن هنا نقول : أن النصوص المختارة في كتاب " زهر الآداب " وموضوعاته المنتقاة من كتب مشرقية، لا تقلل من قيمته ولا من قيمة مؤلفه.

والكتاب في مجمله . كما قيل . كتاب أدب ونقد، فقد جمع فيه موضوعات متنوعة من شعر ونثر .

أما الآراء النقدية الواردة فيه فكثيرة، يكفي أن نشير إلى الدراسة القيمة التي قام بها الدكتور/ عبد العزيز عبده قلقيلة، والملخصة في قوله : << أن الحصري مع الجورة ، تقدم الزمن بصاحبها أو تؤخر، وأنه ينقد نقدا موضوعيا، دون اعتبار لمسألة الحداثة والقدم >> [20] .

يقول ابن رشيق عن كتاب " زهر الآداب " وهو تلميذ الحصري : << تأليف جيد في ملح الشعر والخبر، صنعه بالقيروان، وجمع فيه أخبار أهل المشرق ووقائعهم >>[21]. والأخبار: هي مادة الترجمة.

ويرى ابن خلّكان أن كتاب " زهر الآداب " : << جمع فيه كل غريبة >>[22] . ومن " كل غريبة " : التراجم .

لذلك نرى أن كتاب " زهر الآداب " ليس كتاب أدب ونقد فحسب، ولكنه إلى جانب ذلك يعد . أيضا . كتاب تراجم .

وبما أن الأمر يتعلق . في هذه المداخلة . بمحاولة إبراز صفة الترجمة من موضوعات الكتاب، فإننا سوف نلقي بعض الأضواء على المصطلح، وما يتعلق به من دلالات :

المصطلحات

أ . الترجمة

1 . << التُّرجُمَانُ والتَّرجمانُ : المفسِّر للسان ، وفي حديث هرقل : قال لتُرجُمانه؛ التُّرجمان بالضم والفتح : هو الذي يترجم الكلام : أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى. والجمع : التراجم >>[23] .

2 . << الترجمة الذاتية الأدبية : أول تراجم أدبية ذاتية لشعراء العصر الجاهلي ، استقاها الرواة من قصائدهم في الفخر والحماسة >> [24] .

3 . التراجم: هي التأريخ للأعلام المبدعين النابهين في النتاج العلمي والأدبي. وهو فن قائم بذاته [25] .

ب . السيرة

1 . << السيرة : الطريقة. يقال : سار بهم سيرة حسنة >> [26] .

2 . << السير. ج سيرة : وهي الطريقة، سواء كانت خيرا أو شرا، يقال : فلان محمود السيرة، وفلان مذموم السيرة >> [27] .

3 . << السيرة : الجنس الأدبي لقص ترجمات الأشخاص >> [28] .

4 . << السيرة : فن السيرة هو نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي، والإمتاع القصصي. ويراد به درس حياة فرد من الأفراد ، ورسم صورة دقيقة لشخصيته >> [29] .

5 . << السيرة : بحث يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير، فيسرد في صفحاته مراحل حياة صاحب السيرة أو الترجمة، ويفصل المنجزات التي حققها وأدت إلى ذيوع شهرته، وأهلته لأن يكون موضوع دراسة >> [30] .

ومن خلال هذه التفسيرات يتبين لنا أن القاسم المشترك بين المصطلحين (الترجمة والسيرة) هو: النقل أو الطريقة أو التفسير . وكثيرا ما يكون هناك تداخل في الاستعمال، فيستعمل أحدهما للدلالة على المصطلح الثاني...

لكن الاستعمال الدقيق للمصطلحين بينه لنا الأستاذ الكبير" أنيس المقدسي" في كتابه " الفنون الأدبية " ورأى أن مصطلح " السيرة " نستعمله إذا تناولت الدراسة الواحدة شخصا واحدا وكان هو محورها.

ومصطلح " الترجمة " نستعمله إذا تناولت الدراسة الواحدة أكثر من شخص [31].

التراجم في كتاب " زهر الآداب "

اهتم المسلمون الأوائل منذ بداية عصر التدوين بكتابة التراجم بدءا بسيرة الرسول (صلعم) ، ثم توالت كتابة السير والتراجم حتى غدت أغزر أنواع المؤلفات عند المسلمين [32] . ويكفي أن نشير إلى بعض مؤلفاتها في مختلف القرون الأولى :

ففي المشرق العربي نجد مثل : الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني، وطبقات الشعراء لابن سلام، ويتيمة الدهر للثعالبي، ومعجم الأدباء والبلدان لياقوت الحموي، ووفيات الأعيان لأبي خلّكان.

وفي المغرب العربي والأندلس نجد مثل: نفح الطيب للمقري، والذخيرة لابن بسام، وجذوة المقتبس للحميدي ، وبغية الملتمس للضبي، والصلة لابن بشكوال ، وأنموذج الزمان في شعراء القيروان لابن رشيق.... وغيرها من المؤلفات التي يصعب حصرها.

ويدل هذا العدد الضخم من المؤلفات في ميدان التراجم على اهتمام المسلمين بالاحتفاء بعلمائهم ، وبتخليد مآثرهم في مختلف الميادين المعرفية.

لكن هذه الكتب تختلف في مناهجها من مؤلَّف إلى آخر، فهناك من المؤلفين من يجعل كتابه متخصصا في موضوع معين ، وهناك منهم من يجعله متنوعا، يشمل التراجم وغير التراجم، كما هو حال : ابن عبد ربه في العقد الفريد، وحال: الحصْري في " زهر الآداب ".

من هذه الزاوية يمكن لنا أن نتأمل في موضوعات كتاب " زهر الآداب " وفي طريقة عرض الحصري لمادته: فالكتاب . كما قال . : << كتاب يتصرف الناظر فيه، من نثره إلى شعره، ومطبوعه إلى مصنوعه، ومحاورته إلى مفاخرته، ومناقلته إلى مساجلته ...>> [33] .

وقال : << وإن كنت قد استدركت على كثير ممن سبقني إلى مثل ما جريت إليه، واقتصرت في هذا الكتاب عليه، لمُلَحٍ أوردتها كنوافث السحر، وفقر نظمتها كالغنى بعد الفقر، من ألفاظ أهل العصر في محلول النثر، ومعقود الشعر؛

وفيهم من أدركته بعمري، أو لحقه أهل دهري، ولهم من لطائف الابتداع، وتوليدات الاختراع، أبكار لم تفترعها الأسماع، يصبو إليها القلب والطرف....>>[34].

فالنصوص والفقرات والملح التي أوردها في كتابه تعود . كما قال . لأدباء زمانه، الذين أدرك بعضهم ، ولم يدرك البعض الآخر.

وإننا نجد في كتابه تراجم لتلك الشخصيات الأدبية، وقد أفاض في بعضها، واختصر في البعض الآخر.

ونذكر منها على سبيل المثال :

ترجمة لأبي العيناء ، وترجمة للعتابي، وترجمة للأحنف بن قيس، وترجمة لأبي الفضل الميكالي، وترجمة لابن أبي دواد، وترجمة لكثيرعزة ، وترجمة للفضل بن سهل (ذي الرياستين)، وترجمة للوزير المهلبي، وترجمة لسهل بن هارون ....

منهجه في الترجمة

يحدثنا في كتابه عن طريقته أو منهجه في نسج ما جمع من آثار ونصوص، فيقول : <<فجعلت بعضه مسلسلا، وتركت بعضه مرسلا... >> [35].

وهذا المنهج طبقه على جميع موضوعاته المختارة في الكتاب، سواء كانت نصوصا ، أو تراجم أو غيرها. وسنأتي بأمثلة لتبيان منهجه في التراجم :

1 . ترجمة أبي العيناء

تتكون عناصر ترجمته مما يلي :

نسبه، عشقه لقينة ، مبالغته في السب، بينه وبين المتوكل ، ذكر مجلس مستظرف مع المتوكل، منزلته في الكتابة، بعض مواقفه، من أجوبته المستملحة، تعزيته لبعض الأمراء، سؤاله عن موسى بن عبد الملك، من ملحه، بينه وبين ابن خاقان، بينه وبين ابن أبي دواد، بينه وبين ابن توابه، بينه وبين أبي الصقر، ذمه لابن الخصيب ، من أقواله ، من كلماته.

وهذه العناصر المكونة لترجمته لم تأت متتابعة بل وزعت على ثلاثة أجزاء الأولى من الكتاب بعضها في الجزء الأول، وبعضها في الجزء الثاني، والبعض الآخر في الجزء الثالث.

وقد تم توزيعها وفق منهجية معينة، هي أنه يذكر كل عنصر حسب ما يقتضيه المقام، من ذلك ما نراه في المثال التالي :

أ) في موضوع الإيجاز : ذكر قصة عشق قَينَةٍ لأبي العيناء بالسماع، واستقباحها له بالرؤية فقال:

<< قال أبو العيناء : ذكرت لبعض القيان، فعشقتني على السماع؛ فلما رأتني استقبحتني ، فقلت :

وشاطرةٍ لما رأتني تنكَّرتْ وقالت : قبيحٌ أحول ماله جسم

فإن تنكُري مِّني احولاَلاً فإنني أديبٌ أريبٌ لاعيٌّ ولا فَدْمُ

فاتصل بها الشعر،فكتبت إلي: إنا لم نرد أن نوليك ديوان الزمام >>[36] .

هذه فقرة طريفة اعتمد فيها العتابي على أسلوب الحوار، وتصوير الحدث، فكانت فيها حيوية وحركة (عشقته بالسماع . واستقبحته بالرؤية ، ثم جاء رده بأن ما عنده من فصاحة يعوض ما استقبحته منه) . وكان ردها مُفْحَمًا وفي غاية الإيجاز (إنا لم نرد أن نوليك ديوان الزمام) أي القيادة والقوادة . والمعنى الذي ترمي إليه واضح ، فالنص إذن اكتسب عذوبة وجمالا ! وكان جديرا بترك أثره في النفوس استحسانا أواستهجانا .

ب) وفي باب (من تبطره النعمة لم يؤسف على زوالها منه) : ذكر قصة أبي العيناء مع ابن فرخان، فقال : << قال أبو العيناء : كان عيسى بن فرخان شاه ، يتيه علي في ولايته الوزارة، فلما صرف رهبني ، فلقيني فسلم علي فأحفى ، فقلت لغلامي : من هذا ؟ قال : أبو موسى ؛ فدنوت منه وقلت : أعزك الله ، والله لقد كنت أقنع بإيمائك دون بيانك ، وبلحظك دون لفظك، فالحمد لله على ما آلت إليه حآلك ، فلئن كانت أخطأتْ فيك النعمة ، فلقد أصابت فيك النقمة، ولئن كانت الدنيا أبدت مقابحها بالإقبال عليك، لقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك، ولله المنة ، إذ أغناني عن الكذب عليك، ونزهنا عن قول الزور فيك، فقد والله أسأت حمل النعم، وما شكرت حق المُنْعِمِ . فقيل له : يا أبا عبد الله ؛ لقد بالغت في السب، فما كان الذنب؟ قال : سألته حاجة أقل من قيمته، فرد عليها بأقبح من خلقته >> [37] .

وهكذا نستفيد من هذا النص الحيوي فائدتين :

الأولى : أنه يمثّل الموضوع الذي سيق من أجل بيانه وهو : (البطر).

الثانية : يعرفنا بأسلوب أبي العيناء؛ الذي اعتمد فيه كثيرا على الحوار (قال ، قلت ، قيل) وجمّله بالسجع في مثل قوله : (لحظك ، لفظك . النعمة ، النقمة . قيمته ، خلقته) ومجمل أيضا بالازدواج العذب القائم على تعادل الفقرات في مثل قوله : (إيمائك ، بيانك . عليك ، عنك . عليك، فيك ...).

بهذه المنهجية ذكر الحصري أغلب الصفات، والمواقف المميزة لشخصية أبي العيناء، حيث نستطيع حين نُجَمّعها من الكتاب ، أن نتصور شخصيته الأدبية المستظرفة، ونتعرف على منزلته في الكتابة. وبعبارة أخرى فإننا نعْرف منها ملامح شخصيته الأدبية ، وذلك ما يهدف إليه الحصري في كتابه من هذه الترجمة .

2 . ترجمة العتّابي

أجزاء ترجمته في الكتاب :

نسبه، من ترجمته وأدبه وأخباره، وصفه للقلم الصالح للكتابة، مو ازنة بينه وبين العباس في الشعر، من رسائل العتابي وأدبه .

وقد وزع الحصري هذه الأجزاء على جزئين من الكتاب، في الجزء الثالث، وفي الجزء الرابع.

أ) حدثنا عن نسبه فقال : << والعتابي : هو كلثوم بن عمرو بن الحارث التغلبي، يكنى أبا عمرو، قال أبو عثمان الجاحظ : كان العتابي ممن اجتمع له الخطابة، والبيان والشعر الجيد، والرسائل الفاخرة، وعلى ألفاظه وحذوه يقول في البديع جميع من يتكلف ذلك من شعراء المولدين، كنحو منصور النمري، ومسلم بن الوليد الأنصاري، وأشباههما، وكان العتابي يحتذي حذو بشار في البديع، ولم يكن في المولدين أجود بديعا من بشار وابن هَرْمَةَ .

والعتّابي من ولد عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد،ولذلك قال :

إني امر هدم الإقتار مأثرتي واجتاح ما أبدت الأيام من خطري

أنا ابن عمرو بن كلثوم يُسوّده حيا ربيعة والأحياء من مضر

أرومة عطلتني من مكارمها كالقوس عطلها الرامي من الوتر

وكان صاحب بديهة في المنظوم والمنثور، حسن العقل، حسن البيان، حسن العلم، تمنى شيئا عسيرا ، وقد اجتمع ذلك كله للعتّابي >> [38] .

وواضح من هذا التعريف أن الحصري اعتمد في تحديد منزلة العتابي الأدبية على رأي الجاحظ، وعلى رأيه أيضا حدد المدرسة البديعية التي ينتمي إليها ويحتذي حذوها.

ب) ومن أجزاء ترجمته أيضا في الكتاب ، أنه ذكر لنا موقفا من مواقفه في مجال إبراز سرعة بداهته فقال :

<< مر النَّمْري بالعتَّابي مغموما. فقال : مالك ، أعزك الله؟ فقال : امرأتي بِطَلْقٍ منذ ثلاثٍ، ونحن على يأس منها. فقال له العتابي : وإن دواءها منك أقرب من وجهها. قل: هارون الرشيد ، فإن الولد يخرج ! فقال: شكوت إليك مابي، فأجبتني بهذا ؟ فقال : ما أخذت هذا إلا من قولك :

إنْ أخلَفَ الغيثُ لَمْ تَخلُفْ أنامِلُهُ أو ضاقَ أمرٌ ذكَرْناه فيتسِعُ >> [39]

في هذه الفقرة الطريفة يمكن لنا أن نتمثل العتابي وهو يستغل الفرصة السانحة (الشكوى) ،ليُعَرّض بالنّمْري ويذكّره بمبالغته في مدح الرشيد (البيت) .

وقد ساعدته سرعة بداهته في استحضار موقف سابق (مدح الرشيد) وربطه بموقف حاضر (عسر الولادة) فأوجد بينهما قاسما مشتركا هو (سرعة الاتساع) . فتولدت عن ذلك الربط بين الموقفين صورة فنية جميلة، فيها حركة، وفيها حيوية، وفيها فكاهة أو دعابة مضحكة .

3 . ترجمة سهل بن هارون

مكونات ترجمته في الكتاب :

نسبه وبعض أخباره، سهل يصف يحي بن خالد وابنه جعفرا، سهل وهارون الرشيد ، ظرفه وحسن بيانه، شعوبيته، تأليفه لكتاب يمدح فيه البخ ل ويذم الجود لإظهار قدرته على البلاغة .

وزع المؤلف هذه المكونات أو هذه العناصر على الجزء الثاني والثالث من الكتاب، ويأتي بها حسب المناسبات المذكورة، وكثيرا ما يستطرد . كشأن كتاب ذلك العصر . إلى موضوعات فرعية، وقد يستغرق الانقطاع عن الموضوع الأصلي مسافة طويلة تمتد إلى عشرات الصفحات، ولكنه يعود إلى تناول أجزاء مكملة للترجمة وفقا للموضوعات المناسبة لها .

نموذج من ترجمته

أ) ذكرفي الكتاب شيئا من ترجمة سهل بن هارون . وكان ذلك بين موضوعين مختلفين : الموضوع الأول يتعلق بالحديث عن اعتذارات البديع، الموضوع الثاني يتعلق بعظات الحسن البصري . قال : << كان أبو عمرو سهل بن هارون من أهل مَيْسَانَ ، نزل البصرة فنسب إليها، وهو القائل :

يا أهل ميْسان السلام عليكم الطيبون الفرع والجِذ مُ
أما الوجوه ففضة مُزِجت ذهبا وأيدٍ سَحَّةٌ هُضْمُ
أتُريد كلب أن أناسبها قد قلَّ من كلبٍ بِيَ العِلْم
أجلعت بيتا فوق رابية فرعُ النجوم كأنه نجمُ
كبيت شَعر وسط مجهلة بفنائه الجِعْلانُ والبُهُمُ

وكان سهل شعوبيا، والشعوبية: فرقة تتعصب على العرب، وتنتقصها، وكان أبو عبيدة يرمى بها.

وسهل ظريف عالم حسن البيان، وله كتب ظريفة صنّفها معارضا للأوائل في كتبهم بما لا يستصوبه منهم >> [40] .

من خلال هذا النص نتعرف على جانب من شخصية سهل بن هارون الاجتماعية والأدبية، فهو شعوبي، لاستنقاصه من قية العرب وتحقير حياتهم البدوية، وهو أديب لقدرته الفنية على تصوير مثالب العرب كما جاء في الأبيات .

ب) وجاء في الجزء الثالث من الكتاب حديثه عن البخل والبخلاء ، فذكر منهم سهل بن هارون . قال :

<< ألف سهل بن هارون كتابا يمدح فيه البخل، ويذمّ الجود ؛ ليظهر قدرته على البلاغة، وأهداه للحسن بن سهل في وزارته للمأمون، فوقّع عليه : لقد مدحت بلفظك ما ذمه الله، وحسّنت ما قبح الله، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معناك، وقد جعلنا نوالك عليه قبول قولك فيه >> [41] .

يعرفنا هذا النص الجميل بصفتين من صفات سهل بن هارون :

الصفة الأولى هي أنه كان بليغا: " وما يقوم صلاح لفظك "

الصفة الثانية هي أنه كان بخيلا: " بفساد معناك "

وكان الجزاء من نفس القول : " وقد جعلنا نوالك عليه ، قبول قولك فيه ".

الخلاصة :

يستمر الحصْري في عرض تراجمه الأدبية في الكتاب بالمنهج نفسه. وقد يطيل في بعض التراجم، فيسجل لأصحابها مواقف كثيرة : كرواية طَرائفهم ومُلَحهم، أو مجالسهم المتعددة، أو أخبارهم التفصيلية . مما يضيء شخصياتهم أكثر، كما فعل مع أبي الفضل الميكالي، وابن أبي دواد. وقد يختصر بعضها فلا يستحضر لأصحابها إلا الحد الأدنى من التعريف والأخبار، كما فعل مع الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم . وربما يعود ذلك إلى قلة الأخبار عنهم أو قلة الاهتمام بهم .

ويكثرمن استعمال المجملات البديعية في أسلوبه . كالسجع والازدواج . كما مر في النماذج السابقة.

ويعتمد كثيرا على أسلوب الحوار مما يضفي على نصوصه حركية وحيوية تبعد الرتابة والثبات في الأحوال على شخصياته ، كما مر في بعض النصوص المبينة للفكرة.

أعتقد بهذا أننا سلّطنا بعض الأضواء على التراجم الأدبية البارزة في كتاب " زهر الآداب" بشكل ملفت يدعو إلى دراستها والعناية بها بصورة أعمق .

الهوامش

1) الحصري وكتابه : زهر الآداب : 37
2) = = = = : 37
3) = = = = : 41
4) المغرب العربي : 282
5) = = : 191
6) يريد بالعصر، ما قبل المرابطين في المغرب الأقصى .
7) النبوغ المغربي : 1/ 54
8) التعريف بالمؤلف: في الذخيرة لابن باسم، ومعجم الأدباء لياقوت، ووفيات الأعيان لابن خلّكان، والأنموذج لابن رشيق .
9) الأنموذج : 45
10) أنظر الأنموذج : 45
11) بغية الملتمس : 209
12) أنظر الأنموذج : 46
13) أنظر:الحصري وكتابه زهرالآداب : 73
14) النقد الأدبي .... : 123
15) مدينة المنصورة وتسمى (صبرة) بناها الخليفة الفاطمي الثالث المنصور أبوالطاهر، سنة336 للهجرة .
16) مقدمة المؤلف : 35
17) الحصري وكتابه .... : 204
18) مقدمة المؤلف : 36
19) العقد الفريد : 2/1
20) النقد الأدبي ... : 131
21) الأنموذج : 48
22) وفيات الأعيان : 54
23) لسان العرب : 66/12
24) معجم المصطلحات : 94
25) مصادر التراث : 229

26) الصحاح : 2/ 691
27) التعريفات : 136
28) معجم المصطلحات : 205
29) الفنون الأدبية : 547
30) المعجم الأدبي : 143
31) أنظر : الفنون الأدبية : 547
32) فن السيرة : 14
33) مقدمة المؤلف : 34
34) = = : 37
35) = = : 34
36) زهر الآداب : 1/ 200
37) = = : 1/ 315
38) = = : 3/ 674
39) = = : 3/ 703
40) = = : **2**/ 616
41)

المصادر والمراجع

أ ـ المصادر

1 ـ أنموذج الزمان في شعراء القيروان ـ لابن رشيق ـ جمع وتحقيق: محمد العروس المطوي ، بشير البكوش ـ الدار التونسية للنشر ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر ـ 1986 .
2 ـ زهر الآداب وثمَر الألباب ـ لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط 4 .
3 ـ الصحاح ـ للجوهري ـ تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط 4 ـ 1984 .
4 ـ العقد الفريد لابن عبدربه ـ تحقيق : أحمد أمين وآخرون ـ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
5 ـ لسان العرب لابن منظور ـ دار الجيل ـ بيروت ـ .1988
6 ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ـ تحقيق : إحسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت .

ب ـ المراجع

7 ـ بغية الملتمس للضّبي ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ـ .1884

8 ـ البيان المغرب لابن عذاري ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ ط 3 ـ 1983.
9 ـ التعريفات للجرجاني ـ تحقيق : إبراهيم الأبياري ـ دار الكتاب العربي ـ ط 4 ـ 1998.
10 ـ الحصري وكتابه زهر الآداب ـ محمد بن سعد الشويعر ـ الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس 1981.
11 ـ فن السيرة ـ إحسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ 1956.
12 ـ الفنون الأدبية وأعلامها ـ أنيس المقدسي ـ دار العلم للملايين ـ ط 2 ـ 1980.
13 ـ مصادر التراث العربي ـ عمر الدقاق ـ منشورات جامعة حلب ـ ط 5 ـ 1977.
14 ـ المعجم الأدبي ـ جبور عبد النور ـ دار العلم للملايين ـ ط 1 ـ 1979
15 ـ معجم المصطلحات العربية ـ مجدي وهبة ـ كامل المهندس ـ مكتبة لبنان ـ ط 2 ـ 1984.
16 ـ المغرب العربي تاريخه وثقافته ـ رابح بونار ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ـ ط2 1981.
17 ـ النبوغ المغربي في الادب العربي ـ عبد الله كنون ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط 2 ـ 1961 .
18 ـ النقد الأدبي في المغرب العربي ـ عبده عبد العزيز قلقيلة ـ مطبعة الأنجلو المصرية ـ 1973